262012 - الحكمة من تأخير بعض النعم

السؤال

هل يؤجر من تأخر زواجه ، مثلاً شاب تزوج باكراً ، وستره الله ، ورزقه المرأة والأولاد ، والمنزل ، وتهيئت له أسباب السترة وحفظ الفرج ، بينما شاب آخر لم يستطع أن يتزوج ، والفتن محيطة به ، وأولها فتنة النساء ، والأفلام الإباحية ، فلو تزوج باكراً لربما كانت له بابا وحفظاً من الحرام ؛ لأن الزواج أفضل الطرق لحفظ الفرج ؟
وثانيا :

الصلاة في المسجد الحرام تعادل 100 ألف صلاة في غيره ، فما الحكمة من تفضيل أناس عاشوا وخلقوا هناك ، ويصلون دائماً هناك ، ونحن مثلاً نصلي في مسجد عادي أو في بيتنا ، فمن الطبيعي ستكون حسناتهم أكثر منا كثيراً ، فأنا أعشق الصلاة ، والإقامة في المسجد الحرام ، ولكن الله كتب لي . وله الحمد . الحياة في مناطق عادية ؟

الإجابة المفصلة

أولاً:

الزواج وتقدمه وتأخره ،
وتيسره وتعسره ، كل ذلك بقدر الله ، ولا يعني هذا أن المسلم لا يفعل الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤدية إلى مسبباتها ، ولا يتنافى الأخذ بالأسباب مع كون الشيء مقدرًا في الأزل ، فالمرء لا يدري ما كتب له ، وهو مأمور بفعل الأسباب .

والمصائب التي يقدرها الله
تعالى على العبد ، تكون خيراً للمؤمن إذا صبر عليها واحتسب ولم يجزع ، كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ
خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ
شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا
لَهُ) رواه مسلم (2999) .

وراجع جواب السؤال رقم : (72257)

، (21234).

ثانياً:

قد أمر الله تعالى المؤمنين رجالاً ونساءً بغض البصر ، فانظر جواب السؤال رقم :)

20229) فقد ذكرنا هناك سبعة وعشرين

وسيلة من الوسائل المعينة على غض البصر، وتجد " فوائد غض البصر " في جواب السؤال رقم : (22917) ، وقد ذكرنا في جواب السؤال رقم : (33651) طرق مواجهة فتنة النساء ، وفي جواب السؤال رقم : (20161) تجد حل مشكلة الشهوة وتصريفها.

ثالثا:

يجب أن تعلم أخي السائل أن منع الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن المحب عطاء ، وابتلاءه إياه عافية ؛ قال سفيان الثوري: " منعه عطاء ؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم ، وإنما نظر في خير عبده المؤمن ، فمنعه اختيارًا وحسنَ نظرٍ ".

وقد قال تعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) البقرة/ 216.

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- معلقا على الآية المذكورة:

" ولهذا من لطف الله تعالى بعبده المؤمن أنه ربما طمحت نفسه إلى سبب من الأسباب الدنيوية ، التي يظن أن بها إدراك بغيته ، فيعلم الله أنها تضره ، وتصده عما ينفعه ، فيحول بينه وبينها ، فيظل العبد كارها ، ولم يدر أن ربه قد لطف به ، حيث أبقى له الأمر النافع ، وصرف عنه الأمر الضار " انتهى من "المواهب الربانية من الآيات القرآنية" (151).

وقال ابن القيم رحمه الله:

" ومن أسرار هذه الآية :

أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور ، والرضا بما يختاره له ويقضيه له ؛ لما يرجو فيه من حسن العاقبة .

ومنها : أنه لا يقترح على

ربه ، ولا يختار عليه ، ولا يسأله ما ليس له به علم ، فلعل مضرتة وهلاكه فيه وهو لا

يعلم ، فلا يختار على ربه شيئا ، بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره ، فلا أنفع له من ذلك .

ومنها : أنه إذا فوض إلى ربه

ورضى بما يختاره له أمدّة فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر ، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه ، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه .

ومنها : أنه يريحه من

الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات ، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منه في عقبة وينزل في أخرى ، ومع هذا فلا خروج له عما قُدّر عليه ، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه ، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه ؛ لأنه مع اختياره لنفسه . ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطف عليه واللفظ به ، فيصير بين عطفه ولطفه ، فَعَطْفُهُ يقيه ما يحذره ، وَلَطْفُهُ يهون عليه ما قدره ، وإذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تَحْيُلُهُ في رده ، فلا أنفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحا كالميتة ؛ فإن السبع لا يرضى بأكل الجيف ” انتهى من “الفوائد” (137).

وقال أيضا رحمه الله :

” واختيار الله لعبده خير من

اختيار العبد لنفسه ، وهذا سر بديع ، ينبغي للعبد أن يتفطن له في سبره إلى ربه ؛ فأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأعلم العالمين ، الذي هو أرحم بعباده منهم بأنفسهم ، ومن آبائهم وأمهاتهم ، إذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرا لهم من أن لا ينزله بهم ؛ نظرا منه لهم ، وإحسانا إليهم ، ولطفا بهم ، ولو مُكِّنُوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علما وإرادة وعملا ، لكنه سبحانه تولى تدبير أمورهم بموجب علمه وحكمته ورحمته ، أحبوا أم كرهوا ، فعرف ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته ، فلم يتهموه في شيء من أحكامه ، وخفي ذلك على الجهال به وبأسمائه وصفاته ، فنازعوه تدبيره ، وقدحوا في حكمته ، ولم ينقادوا لحكمه ، وعارضوا حكمه بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة ، وسياساتهم الجائرة ، فلا لربهم عرفوا ، ولا لمصالحهم حصولا ، والله الموفق .

ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة

سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه فيها إلا نعيم الآخرة ، فإنه لا يزال راضيا عن ربه ، والرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين ؛ فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له ، وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية ، وهذا هو الرضا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا ، وما ذاق طعم الإيمان من لم يحصل له ذلك .

وهذا الرضا هو بحسب معرفته

بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره ، فكلما كان بذلك أعرف كان به أَرْضَى ؛ فقضاء الرب سبحانه في عبده دائر بين العدل والمصلحة والحكمة والرحمة ، لا يخرج عن ذلك البتة ، كما قال في الدعاء المشهور : (اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عَدْلٌ في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي وغمي ، ما قالها أحد قط إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرجا) قالوا : أفلا نتعلمهن يا رسول الله ! قال : (بلى ؛ ينبغي لمن يسمعهن أن يتعلمهن).

والمقصود قوله : (عَدْلٌ

في قضاؤك) وهذا يتناول كل قضاء يقضيه على عبده من عقوبة أو ألم وسبب ذلك ، فهو الذي قضى بالسبب وقضى بالمسبب ، وهو عَدْلٌ في هذا القضاء ، وهذا القضاء خير للمؤمن كما قال : (والذي نفسي بيده ! لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له ، وليس ذلك إلا للمؤمن) " انتهى من "الفوائد" (92-93).

رابعا:

وأما حبك للمسجد الحرام ،

وشوقك للتعبد فيه فلعله أن يحصل لك بإخلاص النية ، وصدق الإرادة ، ما تعجز أن تناله بعملك ، فعن أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : (إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ ؛ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ) رواه البخاري (2839) .

وذلك أن الهمُّ بالحسنات ،
يكتب لصاحبه حسنة كاملة وإن لم يعملها ، كما في حديث ابن عباس وغيره .. قال ابن
رجب رحمه الله :

” وفي حديث حُرَيْمِ بْنِ
فَاتِكِ : ” .. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَعَلِمَ اللَّهُ
أَنَّهُ قَدْ أَشْعَرَهَا قَلْبُهُ وَحَرَصَ عَلَيْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ .. ”
[رواه أحمد 18556، قال الأرنؤوط : إسناده حسن ، وذكره الألباني في الصحيحة] ،
وهذا يدلُّ على أنَّ المراد بالهمِّ هنا : هو العزمُ المصمَّم الذي يُوجدُ معه
الحرصُ على العمل ، لا مجردُ الحَظَرَةِ التي تخطر ثم تنفسحُ من غير عزمٍ ولا
تصميم .

قال أبو الدرداء : من أتى فراشه ، وهو ينوي أن يُصليَّ من الليل ، فغلبته عيناه
حتى يصبح ، كتب له ما نوى ..

وروي عن سعيد بن المسيب ، قال : من همَّ بصلاةٍ ، أو صيام ، أو حجٍّ ، أو عمرة ، أو
غزو ، فحِيلَ بينه وبين ذلك ، بلَّغه الله تعالى ما نوى .

وقال أبو عمران الجونيُّ : يُنادى المَلَكُ : اكتب لفلان كذا وكذا ، فيقولُ : يا
ربِّ ، إنَّه لم يعملهُ ، فيقول : إنَّه نواه ..

ومتى اقترن بالنيَّة قولٌ أو سعيٌّ ، تأكَّدَ الجزاءُ ، والتحقَّ صاحبه بالعمل ،

كما روى أبو كبشة أنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ

اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ ،

وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ

رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَزُرُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ

يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنَيْتِهِ

فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَزُرُقْهُ

عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ،

وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا

بِأَحَبِّثِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَزُرُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا

فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ

بِنَيْتِهِ فَوَزُرُهُمَا سَوَاءٌ) .

[رواه الترمذي (2325) ، وأحمد (18031) وقال الترمذي عقبه : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ " ، وصححه الألباني في " صحيح سنن الترمذي "] .

ثم قال ابن رجب رحمه الله :

" وقد حمل قوله : (فهما في الأجر سواء) على استوائهما في أصل أجر العمل ، دون مضاعفته ، فالمضاعفة يختص بها من عمل العمل دون من نواه فلم يعمله ، فإنهما لو استويا من كل وجه ، لكتبت لمن هم بحسنة ولم يعملها عشر حسنات ، وهو خلاف التخصيص كلها ، ويدل على ذلك قوله تعالى : (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ، قال ابن عباس وغيره : القاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجة : هم القاعدون من أهل الأعداء ، والقاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجات : هم القاعدون من غير أهل الأعداء " انتهى من " جامع العلوم والحكم " (2/321) .

وقال السندي رحمه الله في "

حاشيته على ابن ماجه " :

" وَالْمَرَادُ يُؤَجَّرُ عَلَى نِيَّةِ الْخَيْرِ ، فَهُوَ فِي أَصْلِ الْأَجْرِ أَيْضًا

مُسَاوٍ لِلْمُنْفِقِ ، وَإِنْ كَانَ لِلْمُنْفِقِ زِيَادَةٌ ، فَإِنَّ مَنْ نَوَى

حَسَنَةً يُكْتَبُ لَهُ وَاحِدَةٌ ، وَإِذَا فَعَلَهَا فَعَشْرَةٌ " انتهى .

وانظر أجوبة الأسئلة : (219763)

، و(127714) ،

و(99324) .

والله أعلم .